

الفصل السابع

موقف إليوت كناقد بالنسبة للتيارات الأوروبية والأمريكية المعاصرة في النقد

لقد تقدم النقد في فرنسا في أوائل القرن التاسع عشر على يد شاتوبريان^(١) الذي وضع بذور الانجاء القائم على التحليل السيكولوجي . ويمكننا اعتبار مدرسة كبريدج التحليلية في إنجلترا امتداداً أو صدى لهذه الأسس الأولى التي ظهرت في فرنسا في القرن الماضي . ومن ثم ترعرعت هذه البذور الأولى على يد سانت بيث^(٢) الذي يعتبره جمهوره النقاد مؤسساً لمدرسة النقد الحديثة في فرنسا . وهو يتفق مع إليوت في بعض مناهجه إذ أنه يرى أن وظيفة الناقد هي إيضاح النصوص الغامضة ووضع الحقائق جلية واضحة أمام أعين القراء حتى يتمكنوا من تذوق النصوص الأدبية وبالتالي تقييمها على أسس سليمة . وتعرض أيضاً لبعض كتاب الأدب كما ذهب إليوت فيما بعد ، ولكل منهما آراءه السديدة في الأدبين الفرنسي والإنجليزي . إن سانت بيث لم يهتم بكتابة تاريخ للأدب بقدر اهتمامه بعرض بعض الحقائق الفلسفية التي ترتبط بالأدب ، وهذا هو نفس المنهج الذي ذهب إليه إليوت حينما تعرض لشعر دانتي والشعراء الميتافيزيقيين . وقد أوضح لنا هذا الكاتب الفرنسي ذلك المنهج في كتابه الذي أطلق عليه اسم « أيام الاثنين »^(٣) .

وفي أواخر القرن الماضي بعد أن تبلورت الحركة الانطباعية^(٤) في فرنسا على أيدي أناتول فرانس^(٥) وجول لمر^(٦) وريمى دي جورمون^(٧) ، تبدأ مرحلة

Chateaubriand.

Sainte-Beuve.

'Les Lundis'.

Impressionism.

Anatole France.

Jules Lemaitre.

Rémy de Gourmont.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

(٦)

(٧)

التعارض بين إليوت وبين هذا الاتجاه الجديد الذي كرس إليوت كل مجهوداته لدحضه وبخاصة بعد أن رسخ بنيانه في العصر الحاضر . فلقد بذل جهوداً موفقة لتحطيم البنيان من أساسه ليقيم مكانه صرحاً كلاسيكية قد شيدت على دعائم علمية . وكان رائده في هذا المضمار هو الاتجاه الموضوعي الذي سما به إليوت إلى القمة النقدية ، فتبلورت على يديه كل مقوماته وعناصره . وعلى هدى هذا المهاج الذي دار كوكبه في فلك التقاليد استطاع إليوت أن يعيد تقييم الأدب الأوربي عامة والإنجليزي على وجه التحديد . فتمت المقارنات بين الآداب والفنون المختلفة وخرج من هذه الموازنات بنتائج قيمة أفادت النقد الأدبي بما فائدة ، اذ وجه الأنظار إلى قيمة المدرسة الميتافيزيقية في الشعر ، وعظمة دانتى الفلسفية والشعرية ، وبراعة كل من درايون وبوب النقدية . كما هاجم النقد الرومانسي الذي تمخضت عنه الحركة الانطباعية في الأدب والفن . اذ أن مثل هذا النقد يقوم على العاطفة الفردية والانطباعات الشخصية . وهذه الانطباعات في أغلب الأحيان غامضة يعوزها المهاج العلمي ، فهي كثيراً ما تخفى في ثناياها ميولاً وأهواءً لا تمت للإنتاج الفني بأدنى صلة . ومن هنا بدت لنا مفككة بل ومتناثرة في غير ترابط أو هدف يجمعها .

وعلى أية حال فإن اتجاهات الحركة النقدية في فرنسا قد تركزت في « المجلة الفرنسية الجديدة »^(١) التي تأسست سنة ١٩٠٩ . وبمضي الأيام أصبحت صدى قويا لتيارات النقد هناك . وظهرت أبحاث قيمة على صفحاتها لكبار الكتاب أمثال كلوديل وفاليري وبروست . ومع أنها عارضت الحركة الرمزية التي احتضنها إليوت إلا أنها في العشرينات والثلاثينات من هذا القرن أفسحت جزءاً كبيراً من صفحاتها للتعبير عن الحركة السيرالية^(٢) التي نمت وترعرعت في ذلك الوقت في فرنسا على يد أندري بریتون^(٣) . وفي الأربعينات عالجتها مشا كل الوجودية^(٤)

"La Nouvelle Revue Française".

Surrealism.

André Breton.

Existentialism.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

التي وطد دعائمها جان بول سارتز^(١) . كما تطرقت أبحاثها أيضا إلى نقد وتحليل الإنتاج الفني لكتاب أوربا أمثال تولستوى وتشيكوف وجوزيف كونراد وجيمس جويس وإيراندلو ، فأصبحت بذلك موسوعة نقدية غير مقصورة على اتجاهات النقد في فرنسا به تعدته إلى المحيط الأوربي فأصبحت لسان حاله الذي يفصح عن الاتجاهات النقدية الأوربية .

وفي ثانيا هذه النهضة النقدية في فرنسا يظهر لنا ناقد فذ يتفق مع إلبوت في معظم خصائصه وهو جان بولان^(٢) ، وهو يكبر إلبوت بأربع سنوات . فلقد هاجم على صفحات المجلة السالفة الذكر اتجاهات الأدب الفرنسي المعاصر ، وركز كل اهتمامه حول دراسة النصوص الأدبية وأساليبها اللغوية . رحل حملة شعواء على صغار الكتاب الذين أقحموا أنفسهم في ميادين الفلسفة والأخلاق وبهذا ظهرت آراؤهم الأدبية والفكرية عقيمة تعوزها الأصالة والعمق . وحاول أن ينقذ الأدب من يرائن الأفكار المختلطة الجديدة التي زجت نفسها في محيطه بقدر ما دعا إلى التعمق في البحث ، وهذا مما ينعكس حتماً على تقييم الأعمال الفنية .

وفي أمريكا كوّن بعض النقاد البارزين أمثال جون كرورانسوم^(٣) وألن تيت^(٤) وروبرت وارين^(٥) وكليث بروكس^(٦) ودونالد دافيدسون^(٧) ما يعرف باسم المدرسة الجنوبية في النقد^(٨) . وتمتاز هذه المدرسة بالوحدة والتعاون بين أفرادها في مجال النقد ، وهي لهذا تتميز عن غيرها من النقاد الذين لم يختلطوا بغيرهم ، فلم تكن هناك فرصة مواتية لاحتكاك الآراء وتفاعلها . وهذا الاتجاه

Jean-Paul Sartre.

Jean Paulhan.

John Crowe Ransom.

Allen Tate.

Robert Warren.

Gleanth Brooks.

Donald Davidson.

The Southern School of Criticism.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

(٦)

(٧)

(٨)

الأخير ينطبق على الاتجاهات النقدية عند إزرا باوند^(١) وويندام لويس^(٢) و ت . س . إليوت نفسه .

ومع أن هذا هو الاتجاه السائد عن آراء إليوت في النقد ، وهو أنه لم يتأثر كثيراً بغيره ، إلا أن عناصر الخلق والإبداع التي تتضمنها آراؤه كفيلة بالوقوف على قدميها دون حاجة الى الاستناد إلى غيرها . وقد نلاحظ أحيانا أثر إزرا باوند على اتجاهات إليوت النقدية ، لكنه أثر محدود على وجه العموم . فلقد سلك إليوت نفس الاتجاه الذي ذهب إليه باوند في مقارنة النصوص الأدبية وفي إلمام الناقد بالتيارات الفكرية المعاصرة لييسر له وضع النصوص المراد تقييمها في أماكنها الملائمة لها .

وقد اعترف إليوت بتوجيهات باوند وإن كانت لا تعدو أن تكون بضعة إرشادات عابرة وذلك في إهداء قصيدته المشمرة « الأرض الخراب » إليه . وفي «مجلة الشعر» في عددها الصادر في سبتمبر سنة ١٩٤٦ كتب عن أشعار باوند يقول : « لا يمكنني أن أجد إنسانا على وجه الأرض قد كتب أشعاراً كهذه » . وعلى أية حال فلقد لعبت المجالات الأدبية شوطاً مرموقاً في ميدان النقد في أمريكا إذ أفسحت المجال لنقاد الجنوب أن يعبروا عن آرائهم الأدبية . وهذه المجالات لها قيمتها في مجال النقد الأدبي وهي « سذيرن ريفيو »^(٣) التي ظهرت سنة ١٩٣٥ و« كنيون ريفيو »^(٤) التي ظهرت سنة ١٩٣٩ و« سوانى ريفيو »^(٥) سنة ١٩٤٤ . وقد تزعم رانسوم جماعة النقاد السالفة الذكر ، وهو رجل معروف بسعة اطلاعه وعلمه ، ويتفق مع إليوت في فكرته عن التقاليد وفي تقييمه للمدرسة الميتافيزيقية في الشعر وفي أحيائه لجون درايدن . إلا أنه يختلف اختلافاً بيناً عن إليوت في محاولاته لبعث تراث ملتون الذي اتهمه إليوت بالافتعال والبريق

Ezra Pound.

Wyndham Lewis.

"Southern Review".

"Kenyon Review".

"Sewanee Review".

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

الخارجي . وقد بنى رانسوم مناجه في النقد على أساس الدراسة التفصيلية للنسق الشعري وصلته بتسلسل الأفكار ووضحها . وهو يهدف إلى الوصول إلى القضايا المنطقية التي يسوقها إلينا الشاعر في أبياته معتمداً في ذلك اعتماداً كلياً على التركيب اللغوي للنصوص الأدبية . ومع أن هذا الاتجاه قد يبدو في مظهره قريب الشبه من مدسة كمبريدج التحليلية في النقد، وهي التي تزعمها الدكتور رشاردز ، إلا أن هذه المدسة لا تهتم كثيراً بالتسلسل المنطقي للأفكار المتضمنة في النصوص الأدبية بقدر ما ركزت جهودها حول دراسة النواحي النفسية المصاحبة للنصوص الجيدة من راحة ورضى وتوازن سيكولوجي وعقلي .

أما العنصر العامل في هذه الجماعة فهو كليث بروكس وهو أكثر أفرادها تأثراً بالاتجاهات النقدية عند إليوت . ولعلنا لا نعدو الحقيقة إن قلنا إن بروكس هو الذي أخذ على عاتقه تطبيق الاتجاهات الفكرية لهذه الجماعة على محيط الأدب الإنجليزي . فلقد كتب عام ١٩٣٩ كتاباً عن « الشعر الحديث والتقاليد »^(١) وفيه اتبع نفس المنهج الذي ذهب إليه إليوت في تقييم الأدب وبخاصة في مضمار الشعر . وهو معروف بدقة ملاحظته وفطنته وقوة حافظته وبصيرته العميقة النفاذة إلى الأعماق . ولهذا كان لآرائه النقدية صدى عميق في نفوس القراء . فلقد كتب كثيراً لإيضاح آراء إليوت وأشعاره . هذا إلى أنه تعرض أيضاً للدكتور چونسون الناقد الإنجليزي في القرن الثامن عشر ، كما تعرض أيضاً لثوماس هاردى الكاتب الإنجليزي وبيتس الشاعر الأيرلندي وغيرهم أمثال بوب وجرای ووردزورث وكيثس وتينسون . ونجد بروكس يبذل قصارى جهده في علاج إنتاج هؤلاء الكتاب لإظهار مواضع السخرية والهجاء فيه . كما أفسح المجال أيضاً لتبيان مواطن الغموض والأسباب المؤدية له وما يترتب على ذلك من لبس وإرباك . ولدراساته عن الرمزية أثرها العميق في إيضاح الاتجاهات الأدبية التي تعرض لها في العصر الحديث .